عفة وقناعة(*)

سعت أمة بثينة بها إلى أبيها وأخيها، وقالت لهما: إن جميلاً عندها الليلة؛ فأتياها مشتملين على سيفيهما، فوجداهما مجتمعين وجميل يشكو إليها وجده. ثم عرض لها بشيء مما يجري بين العشاق، فأنكرته عليه وقالت: لئن عاودت تعريضاً بريبة، لا رأيت وجهي أبداً. فضحك وقال لها: واللَّه ما قلت هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، ولو رأيت منك مساعدة، لضربتك بسيفي، أوَما سمعت قولي؟ فقال أبوها لأخيها: قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها. فانصرفا وتركاهما.

[الطويل]

وإني لأرضى، من بُثينةَ، بالّذي
لوَ ابصَره الواشي، لقرّتْ بلابلُهْ(١)

بِلا، وبألّا أستطِيعَ، وبالمُنى،
وبالوَعدِ حتى يَسأمَ الوعدَ آمِلُهْ(٢)

وبالنّظرةِ العَجْلى، وبالحَوْلِ تنقضي
أواخِرُه، لا نلتقي، وأوائِلُهْ(٣)

(*) وردت القصيدة تامة في الأغاني ٨: ١٠٥، المحتسب، لابن جني ١: ٤٢.

(١) بلابله: اضطرابات مشاعِره ووجيبُ قلبه.

(٢) في (الأغاني): وبالأمل المرْجُوِّ قد خاب آمِلُه.

(٣) أورد لسان العرب بيتاً لا يوجد في الديوان ١٣: ٤٦ مادة (بثن) «البثنة=

. . . . . .

= والبِثنة: الأرض السهلة اللينة، وقيل: الرملة، والفتح أعلى، وأنشد لجميل:

بَدَتْ بَدْوةً لَمَّا استقلَّتْ حُمُولُها ببثنةَ بين الجرْفِ والحاجِ والنُّجْلِ

وبها سميت المرأة بثنة».